أدهم

أهم الرموز الواردة فى فصل « أدهم » ومعانيها :

م	الرمز	معناه
١	أدهم	آدم
٢	أميمة	حواء
٣	همام	هابيل
٤	قدرى	قابيل
٥	إدريس	إبليس
٦	رضوان - جليل - عباس	رموز لجماعة الملائكة
٧	هند	الغواية الشيطانية
٨	إدارة الوقف	الخلافة أو الاستخلاف فى الأرض
٩	هانم	النور ، والنار
١٠	الجارية السوداء	الأرض

obeikandl.com

الفصل الأول

أدهم

أدهم هو آدم عليه السلام ، هكذا قلنا من قبل ، وهكذا نقول الآن ، بيد أننا - قبلاً - اكتفينا بفك الرمز من أدهم إلى آدم ، أما - الآن - فنقرن الدعوى بالدليل ، أو بالأدلة - وهو الأصح - فأدهم - مرة أُخرى - فى رواية « أولاد حارتنا » ليس المراد منه إلا آدم أبو البَشر ، ولنأخذ فى إقامة الأدلة من كلام المؤلف نفسه : الأستاذ نجيب محفوظ .

الأدلَّة

● **الدليل الأول - السجود والاستخلاف فى الأرض :**

السجود والاستخلاف فى الأرض هما فى الواقع دليلان على أن أدهم هو « آدم » لا دليل واحد ، وإنما عددناهما - هنا - دليلاً واحداً مجاراة لما ورد فى « أولاد حارتنا » ، حيث إن المؤلف مزج بينهما فى طور واحد ، آخذاً من كل منهما بطرف من الملابسات التى اقترنت بها :

فإدريس الذى هو رمز لإبليس فى الرواية لم يكن له وجود فى قضية الاستخلاف ، بل كان دوره مقصوراً على قضية السجود فحسب ، فطوى المؤلف قضية السجود ، وزج بـ « إدريس » فى قضية الاستخلاف ، ثم مزج مرة أُخرى بين موقف الملائكة من السجود والاستخلاف ، حيث أطاعوا فسجدوا لما أُمروا بالسجود ، ولم يُبْدوا أدنى مخالفة ، أما فى الاستخلاف فقد أظهروا تعجباً مشوباً بشىء من الإنكار .

هذا هو القصص الحق خارج « أولاد حارتنا » ، أمَّا فيها فلم يرمز المؤلف إلا لقضية الاستخلاف ، ورتَّب عليها ثلاثة مواقف :

- موقفان للملائكة ، مزج فيه المؤلف بين الطاعة والتعجب المشوب بالإنكار.
- وموقف لإبليس وهو المخالفة العلنية العنيدة ، أو العصيان الصريح الساخط .

وهذا هو الذى جعلنا نعُدُّ الأمرين معاً : قضية السجود ، وقضية الاستخلاف دليلاً واحداً من أدلة أن أدهم هو آدم فى « أولاد حارتنا » ، وإليك البيان :

ينسب المؤلف إلى « الجبلاوى » رمز الأُلوهية (الله) فى الرواية أنه أنجب خمسة أبناء ذكور :

أدهم ، رضوان ، جليل ، عباس ، إدريس [١] .

وأنه جمعهم يوماً ، وكان « الجبلاوى » حين جمعهم يدير الوقف بنفسه ، والوقف رمز فى الرواية لشئون الحياة الدنيا ، ثم قرر - أى الجبلاوى - أن يتنازل عن إدارة الوقف لأحد أبنائه الخمسة ، وإدارة الوقف رمز للخلافة أو الاستخلاف فى الأرض . وفى هذا الاجتماع قال المؤلف : إن « الجبلاوى » قال لأبنائه :

« أرى من المستحسن أن يقوم غيرى بإدارة الوقف ، وتفحص وجوههم مرة أُخرى ، ولكن لم تنم وجوههم عن شىء ، ولم تكن إدارة الوقف مما يغرى قوماً استحبوا الفراغ ، والدعة وعربدة الشباب » [٢] .

---

(١) عباس وجليل ورضوان رموز لجماعة الملائكة ، أما إدريس فهو إبليس ، وأدهم قد عرفنا أنه « آدم » .

(٢) المؤلف - هنا - يتحدث عن الملائكة ، ويصفهم بالبطالة والفراغ والكسل وعربدة الشباب ، فهل هذا سائغ وهو يعلم فى دخيلة نفسه أنهم جماعة الملائكة ؟

obeikandl.com

ثم قال الجبلاوى : « وقد وقع اختيارى على أخيكم أدهم ؛ ليدير الوقف تحت إشرافى » (١) .

تلك هى قضية الخلافة ، يتحدث عنها المؤلف مستخدماً من الرموز وسيلة تعبيرية محببة لديه ، ومسألة الخلافة هذه وردت فى القرآن الأمين فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً . . . ﴾ (٢) .

❊ ❊

● الدليل الثانى - عصيان إبليس :

قلنا من قبل : إن إبليس - أى إدريس فى الرواية - لم يكن له دور فى قضية الخلافة ، حيث لُعن وطُرِد من زُمرة الملائكة لما أبى أن يسجد لآدم امتثالاً لأمر الله ، ولكن المؤلف - كما تقدم - نقل عصيانه من قضية السجود إلى قضية الخلافة ، وإليك بعض ما قاله فى هذا المجال :

« تفجر الغضب فى باطن إدريس - إبليس أو الشيطان - فبدا كالثمل من شدة مقاومته ، ونظر إليه أخوته - أى رضوان وجليل وعباس - بحرج ، وداري كل منهم - عدا أدهم طبعاً - غضبه لكرامته باحتجاجه الصامت على تخطى إدريس . . أما إدريس - أى إبليس - فقال بصوتٍ هادئ : . . ولكن يا أبى ، فقاطعه الأب ببرود وهو يلتفت نحوهم ، ولكن ؟! فغضوا الأبصار حذراً من أن يقرأ ما فى نفوسهم إلا إدريس فقد قال بإصرار :

ولكنى الأخ الأكبر ، فقال « الجبلاوى » مستاء : أظن أننى أعلم ذلك ، فأنا الذى أنجبتك » ؟! (٣) .

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ١٢ (٢) البقرة : ٣٠

(٣) « أولاد حارتنا » ص ١٢ ، وقد أشرنا إلى حذف ما ليس بمهم من كلامه بالنقط .

هذه نصوص مما قاله المؤلف فى شأن عصيان « إبليس » ، فتعال ننظر فيها معاً .

● **ملاحظات** :

لنا عدة ملاحظات على بعض ما ورد فى الفقرة الآنفة الذكر :

الأولى : وصفه « الجبلاوى » وهو رمز الأُلوهية (الله) عنده بأوصاف لا تليق به باعتبار معناه :

ومن ذلك نسبة الجهل إليه ، حين قال : أبناءه - غير أدهم وإدريس - دارى كل منهم غضبه ، لكى لا يعلم الجبلاوى ما فى نفوسهم ، وهو يعلم - أى المؤلف - أن الله عليم بذات الصدور ، ولا تخفى عليه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ؟!

ثم وصفه بالحزن والضيق فى قوله : « فقال الجبلاوى مستاء » أى حزيناً ضائقاً بحاله ؟

ثم وصْفُه بالظن فى قوله : « أظن أنى أعلم ذلك » ، والظن أحد طرفى الجهل ؟

أما قوله منسوباً إلى « الجبلاوى » : « فأنا الذى أنجبتك » ، وقول إدريس له : « يا أبى » ، فيمكن حمله على التعبير الرمزى ، فيكون معنى « أنجبتك » : « خلقتك » ، و« يا أبى » : « يا خالقى » ، كما يمكن حمل نسبة الأبناء إليه على الخلق كذلك ، نحن نعتذر عن المؤلف بهذه التأويلات ، أما الأوصاف التى وصف بها « الجبلاوى » رمز الأُلوهية « الله » ، فلا يقبل فيها اعتذار لا عند الله ، ولا عند الناس إلا بالتوبة النصوح .

الثانية : ادَّعى المؤلف أن جماعة الملائكة ، ممثلين فى رضوان وجليل وعباس ، احتجت على تتويج أدهم بالخلافة تضامناً مع إدريس - إبليس - ، وهذا تزوير واختلاق لا صحة له ، ومن يحمل كلام المؤلف فيه على التعاطف مع

إبليس لا يُلام ، وقد وُجِد هذا التعاطف من أدباء مصريين وغير مصريين ، فقد دعا الأستاذ توفيق الحكيم إبليس مظلوماً وشهيداً فى مقال له أسماه : « الشهيد » من قبل ، ونحا هذا المنحى أديب عربى هو خالد العظم ، وسبقهم إلى هذا بعض أدباء أوروبا ، وجعلوا تقديم أدهم على إدريس طعنة فى الديمقراطية والحريات الشخصية ؟!

الثالثة : وفى تسمية المؤلف لإبليس بإدريس تعظيم لشأنه ، وتنويه بفضله ، لأن إدريس هو نبى الله الذى قال فيه :

﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً * وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِياً ﴾ (١) .

وفى هذه التسمية تأكيد لإظهار التعاطف مع إبليس ، وإخفاء هالة من الثناء العاطر عليه ؟! ألم يكن فى وُسْع المؤلف أن يسمى إبليس « جَهْليس » مثلاً ؟!

* *

● الدليل الثالث - تفضيل إدريس نفسه على أدهم :

عرض الكاتب لأسباب عصيان إدريس ، ومخالفته أمر « الجبلاوى » فى إسناد إدارة الوقف لأدهم ، وحصرها فى خمسة أسباب هى :

- كون إدريس هو أكبر أخوته : أدهم ، رضوان ، جليل ، عباس .
- كونه هو وإخوته الثلاثة أبناء هانم من علية النساء .
- كون آدم ابن جارية سوداء ، فَهُمْ شرفاء - إذن ، وهو وضيع .
- كون أدهم أصغر إخوته سناً .
- سواد لون أدهم وقماءمة عوده ، وبياض ألوانهم هم وضخامة عود إدريس ؟

---

(١) مريم : ٥٦ ، ٥٧

وهذه الأسباب لا يصح منها إلا اثنان على وجه من التأويل وهما :

● فقد رمز الكاتب بخيرية أُم إدريس ورضوان وجليل وعباس إلى أصل النشأة والخلقة ، فالملائكة مخلوقون من نور ، والشياطين - وأبوهم إبليس - مخلوقون من نار . وهذا سبب صحيح وبه نزل القرآن ، وهو يحكى مزاعم إبليس فى تفضيل نفسه على آدم .

● والسبب الثانى رمز إليه الكاتب بـ « الجارية السوداء » مشيراً إلى أصل نشأة آدم وخلقته ، وهى : الأرض ؟

قال المؤلف فى بيان هذه الأسباب :

« فقال إدريس : للأخ الأكبر حقوق لا تُهْضَم إلا لسبب » (١) .

وقال : « . . . ولكن الغضب لم يَدَعْ له فرصة لتدبر العواقب ، فاندفع - أى إدريس - خطوات ، حتى كاد يلاصق أدهم ، وانتفخ كالديك المزهو ليعلن للأبصار فوارق الحجم واللون والبهاء بينه وبين أخيه ، وانطلق الكلام من فيه . . . إنى وأشقائى أبناء هانم من خيرة النساء . أما هذا فابن جارية سوداء . . . وهو أصغرنا أيضاً . فدُلَّنى على سبب يَرْجُحُنى به ، إلا أن يكون زماننا زمان الخدم والعبيد » (١) .

تأمل هذا الكلام تجد الأسباب الخمسة مبثوثة فيه ، وثلاثة منها من صُنْع خيال المؤلف .

ملحوظة : من تزوير الواقع أنْ جَعَلَ إدريس - إبليس - يدافع عن حقوقه وحقوق الملائكة . وهذا لم يحدث ولم يهتم إبليس إلا بنفسه .

وربما كان هذا التزوير كالتزوير الذى ادَّعى فيه المؤلف تضامن الملائكة ، مع إبليس - وقد أشرنا إليه من قبل - فى أن كلا منهما جئ به من باب الفر بعد الكر قصداً للتمويه .

---

(١) أولاد حارتنا ص ١٣

إن تفضيل إبليس نفسه على آدمْ واقعة صحيحة ، فذكرها فى سياق الحديث عن « أدهم » دليل قاطع على أن رواية « أولاد حارتنا » ما هى إلا سرد فنى مغلف للتاريخ الدينى النبوى بدءاً من قصة أبى البَشر آدم عليه السلام إلى خاتم الرُّسُل ﷺ .

* *

● **حديث القرآن عن هذه الواقعة :**

ورد ذِكْر هذه الواقعة فى القرآن الأمين فى المواضع الآتية :

أولاً - سورة الأعراف :

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (١) .

ثانياً - سورة الحِجْر :

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَالَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (٢) .

ثالثاً - سورة الإسراء :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا ، إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾ (٣) .

رابعاً - سورة ص :

﴿ فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ، خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (٤) .

---

(١) الأعراف : ١٢ (٢) الحجر : ٣٢ - ٣٣

(٣) الإسراء : ٦١ (٤) ص : ٧٣ - ٧٦

obeikandl.com

تأمل هذه الآيات تجد القرآن يحصر أسباب تفضيل إبليس نفسه على آدم فى سببين ، لا فى خمسة كما ورد فى الرواية . وهذا افتراء على الله ، وتزييف للواقع .

❊ ❊

● الدليل الرابع - طاعة الملائكة ، وتعجبهم :

مزج المؤلف بين طاعة الملائكة ، وتعجبهم فى مقام واحد ، هو قضية الاستخلاف كما قلنا من قبل ، وهذا مخالف جداً للواقع .

فطاعة الملائكة لها مناسبة ، وتعجبهم له مناسبة مختلفة ، أطاعوا فى قضية السجود ، وتعجبوا مستفسرين عن السبب فى قضية الاستخلاف .

فلنقف أولاً على مزج المؤلف وتزويره للوقائع [1] :

قال المؤلف عقب معارضة حادة من إدريس - إبليس - للجبلاوى رمز الأُلوهية (الله) :

« ورفع رضوان رأسه نحو أبيه ، وقال برقة باسمة : نحن جميعاً أبناؤك ، ومن حقنا أن نحزن إذا افتقدنا رضاك عنا ، والأمر لك على أى حال ، وغاية مرامنا أن نعرف السبب .

وعدل الجبلاوى عن إدريس إلى رضوان ، مُروِّضاً غضبه لغاية فى نفسه

---

(١) قد يقال فى الدفاع عن المؤلف - وقد قيل فعلاً - : إنه يكتب فناً ولا يكتب سيرة ولا تاريخاً ، ونقول : إن جَعْل الله وملائكته ورُسُله موضوعاً للخيال الفنى جريمة نكراء ، لأنها وسيلة للكذب والافتراء ، ويكفى شاهداً على ما نقول هذه الرواية نفسها « أولاد حارتنا » ، فهى طافحة بالافتراء على الله وملائكته ورُسُله ، واختلاق أقوال ووقائع ليس لها سند ، لا من لسان المقال ، ولا لسان الحال ، فكان حرياً بالمؤلف ألا يقدم عليها ، وأن يحرقها بعد أن أقدم عليها ، ويتوب إلى الله توبة نصوحاً .

فقال : « أدهم على دراية بطبائع المستأجرين ، ويعرف أكثرهم بأسمائهم ، ثم إنه على علم بالكتابة والحساب ؟!

« وعجب إدريس من قول أبيه كما عجب إخوته . . . وتساءل إدريس متهكماً :

« أتكفى هذه الأسباب لتبرير ما يراد بى من مذلَّة .

« فأشار الجبلاوى نحوه بضجر ، وقال :

« هذه إرادتى ، وما عليك إلا السمع والطاعة ؟!

« والتفت الرجل - أى الجبلاوى - التفاتة حادة صوب أشقاء إدريس - أى رضوان ، وجليل ، وعباس - وهو يسأل :

ما قولكم ؟

« فلم يحتمل عباس نظرة أبيه ، وقال وهو واجم :

سَمْعاً وطاعة ؟!

« وسرعان ما قال جليل ، وهو يغض طرفه :

أمرك يا أبى ؟!

« وقال رضوان ، وهو يزدرد ريقه الجاف :

على العين والرأس » (١) .

انظر كيف مزج المؤلف طاعة الملائكة ، وتعجبهم مزجاً غريباً ، وكيف تَدَخَّل خياله فى وصف الجبلاوى ، وكل من إدريس ورضوان وجليل وعباس ، وكأنه كان يشهد ما جرى ؟ ويتابعه بكل عبقرية وذكاء ؟!

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ١٣ - ١٤

obeikandl.com

ثم انظر فى كلامه عن « الجبلاوى » رمز الأُلوهية « الله » ، وكيف أظهره فى صورة المستبد الجبَّار ؟! اللَّهُمَّ ارفع مقتك وغضبك عنا ؟!

ألم تفهم من كلام المؤلف أن الملائكة وافقوا على استخلاف آدم وهم مكرهون خائفون من بطش الله بهم ؟!

ألم يقرأ الأستاذ نجيب محفوظ - ولو مرة واحدة فى حياته - وصف الله لملائكته الأطهار فى كتابه العزيز ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ لأنه تنزيل حكيم حميد ؟ ألم يقرأ قوله تعالى :

﴿ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١) .

أوَ لم يقرأ قوله تعالى :

﴿ . . . بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ، وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

* *

● الملائكة لم يتعاطفوا مع إبليس :

سارع الملائكة إلى السجود لما أُمروا به ، وتساءلوا عن السبب فى اختيار آدم خليفة ، ولما علموا السبب زال تعجبهم من ذلك الاختيار ، فأسمع قول الحق عزَّ وجلَّ :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ؟ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ ، فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ

---

(١) التحريم : ٦ (٢) الأنبياء : ١٦ - ١٧

يَا آدَمُ أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ، وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (١) .

فقد بنى الملائكة تعجبهم أو تساؤلهم عن الحكمة الإلَهية فى اختيار ادم خليفة ، على سببين فى آدم ، وسببين فيهم هم .

السببان اللذان فى آدم هما :

- الإفساد فى الأرض .
- وسفك الدماء .

هذا بالنظر إلى ذُرِّيته لا شخصه . قال أهل العلم : إن الملائكة علموا بهذا السلوك : الإفساد وسفك الدماء قياساً على سلوك الشياطين الذين كانوا يَعْمُرون مواقع من الأرض قبل هبوط آدم إليها .

وقال آخرون : ربما كان مصدر علمهم هو الاطلاع على سجل القضاء والقدر ، والعلم لله وحده .

أما السببان اللذان فى الملائكة فهماً :

- التسبيح بحمد الله .
- والتقديس له .

فأين التعاطف مع إبليس الذى زعمته رواية : « أولاد حارتنا » يا ترى ؟

أليس هذا تزويراً لموقف الملائكة لم يُنَزِّلْ الله به من سلطان ؟ أليس من حقنا أن نتهم « أولاد حارتنا » بأنها هى التى تعاطفت مع الشيطان ؟! لا الملائكة ؟!

---

(١) البقرة : ٣٠ - ٣٣

وأياً كان الأمر ، فإن ورود هذه الواقعة - مهما حُرِّفتْ - فى رواية : « أولاد حارتنا » لدليل صارخ على أن :

أولاً : الرواية ما هى إلا عرض مزوَّر للتاريخ الدينى النبوى .

ثانياً : أدهم فى الرواية هو آدم عليه السلام .

ثالثاً : وهو الأهم : أن « الجبلاوى » فى الرواية هو الله ؟! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

● الدليل الخامس - طَرْدُ إدريس من البيت الكبير :

من المستحسن أن نضع بين يدى القارئ فقرات من كلام مؤلف « أولاد حارتنا » فى واقعة طرد إدريس - إبليس - من البيت الكبير ، وهو الجنة هنا ، ننقل هذه الفقرات ونحن نبرأ إلى الله من نقلها لما فيها من شناعات فى حق الله الذى يرمز إليه المؤلف دائماً بـ « الجبلاوى » وشفيعنا عند الله أنه يعلم أننا مكرهون على نقل هذا الإثم البغيض . قال المؤلف فى حوار اختلقه جرى بين « الجبلاوى » وإدريس :

« ولكن الغضب كان قد اقتلع جذور عقله - أى إدريس - فصاح بدوره :

« ما أهون الأُبوه عليك ، خُلِقْتَ فتوة جباراً ؟! فلم تعرف إلا أن تكون فتوة جباراً ، ونحن - أبناءك - تعاملنا كما تعامل ضحاياك العديدين ؟!

« اقترب الجبلاوى خطوتين فى بطء كالمتوثب ، وقال بصوت منخفض . . اقطع لسانك ؟!

« ولكن إدريس واصل صياحه قائلاً :

« لن ترعبنى ؟ أنت تعلم أننى لا أرتعب ، وإنك إذا أردت أن ترفع ابن الجارية علىَّ فلن أُسمعك لحن السمع والطاعة ؟!

قال الجبلاوى : ألا تُدرك عاقبة التحدى يا ملعون ؟

قال إدريس : الملعون حقاً هو ابن الجارية ؟!

فَعَلَتْ نبرات الرجل - أى الجبلاوى - . . وهو يقول : إنها زوجتى يا عربيد ، فتأدبْ وإلا سويت بك الأرض ؟! . . .

قال إدريس : إنك تبغضنى ، لم أكن أعلم هذا ، ولكنك تبغضنى ، لعل الجارية هى التى بغضتنا إليك ؟! سيد الخلاء ، وصاحب الأوقاف والفتوة الرهيب ؟! ولكن جارية استطاعت أن تعبث بك ؟! وغداً يتحدث عنك الناس بكل عجيبة يا سيد الخلاء ؟!

قال الجبلاوى :

« قلت لك : أقطع لسانك يا ملعون !

قال إدريس : لا تسبنى من أجل أدهم ، طوب الأرض يأبى هذا ويلعنه ؟! وقرارك العجيب سيجعلنا أُحدوثة الأحياء والحوارى ؟!

فصاح الجبلاوى بصوتٍ صك الأسماع فى الحديقة والحريم :

اغرب بعيداً عن وجهى ؟!

قال إدريس : هذا بيتى ؟! فيه أُمى ، وهى سيدته دون منازع ؟!

قال الجبلاوى :

« لن تُرى فيه بعد اليوم ، وإلى الأبد » ؟! [1] .

هكذا صوَّر المؤلف - زوراً وبهتاناً - هذا الحوار الشنيع بين « الجبلاوى » رمز الأُلوهية (الله) وإدريس - إبليس - ليوقع فى روع القُرَّاء أن إبليس مظلوم ؛ لأن « الجبلاوى » يبغضه وليس لتفضيل آدم عليه ، ولا لطرده من البيت الكبير - الجنة - من سبب إلا بغض الجبلاوى لإبليس ؟!

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ١٥ - ١٦

obeikandl.com

وهذه الفقرات مليئة - كما ترى - بالإساءات للجبلاوى الذى جعله الكاتب رمز الأُلوهية (الله) ، والذى أريد أن ألفت نظر القارئ إليه من جملة هذه الإساءات ، ما افتراه المؤلف على إبليس نفسه فى قوله للجبلاوى :

« ونحن - أبناءك - تعاملنا كما تعامل ضحاياك العديدين » ؟!

ومعنى هذا - لا محالة - أن « الجبلاوى » رمز الأُلوهية ظالم ولظلمه ضحايا عديدون ؟!

وقوله : « وغداً يتحدث عنك الناس بكل عجيبة يا سيد الخلاء » ؟!

ومعنى هذا أن « الجبلاوى » رمز الأُلوهية - عند المؤلف - إنما هو سيئ السمعة والسيرة ؟!

وقوله : « ولكنَّ جارية استطاعت أن تعبث بك » ؟!

ومعنى هذا أن « الجبلاوى » رمز الأُلوهية مُهْدَر الإرادة ضعيف الشخصية ؟!

ألهذا الحد تبلغ بنا الجرأة على « الله » ؟! إن الكاتب ألْحَقَ بإبليس أشنع أنواع الظلم ، حيث نسب إليه ما لم يقله ، ولا نطق به له لسان .

إبليس - مع عناده - كان يعرف حدوده أمام الله ، بل كان يقسم بعزته وجلاله ، كما حكى عنه القرآن الأمين :

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ؟! أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ، خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة ص : ٧٥ - ٨٣

فإبليس ينادى الله وهو فى أشد حالات عناده ويقول : ربِّ ، ثم يُقسم بعزته وجلاله كما ترى ، هذا ما كان من شأن إبليس ، أما رواية « أولاد حارتنا » فقد كانت أكثر جرأة على الإساءة من إبليس نفسه ؟!

ربنا اغفر لنا خطايانا ، وإسرافنا فى أمرنا يا أرحم الراحمين .

❊ ❊

● الدليل السادس تعليم آدم الأسماء :

لما تساءل الملائكة عن وجه الحِكْمة من اختيار آدم خليفة فى الأرض ، وكانوا يعلمون أن الشر مركب فى طباع ذُرِّيته ، وأنهم - أى الملائكة - مجبولون على الطاعة ، لم يقل الله لهم : هذه إرادتى ، كما ادَّعى مؤلف أولاد الحارة ، بل أظهر لهم من أحوال آدم ما أقنعهم ، وأذهب عنهم استغرابهم ، فعلَّمَ آدم أسماء الكائنات جميعاً ، ثم عرض المسميات على الملائكة ، وقال لهم : أنبئونى بأسماء هؤلاء ؟

فاعترفوا بعجزهم ، ولهجوا بالثناء على خالقهم فقالوا :

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

فأمر الله آدم أن يُنبئ الملائكة بأسماء تلك المسميات فأنبأهم بها ، وظهر لهم وجه الحكمة فى اختيار الله آدم خليفة ، هذه حلقة من حلقات قصة آدم كما سجلتها أوثق المصادر على الإطلاق (القرآن الأمين) .

ولما كانت رواية « أولاد حارتنا » عَرْضاً مغلَّفاً للتاريخ الدينى النبوى بدءاً من خَلْق آدم إلى مبعث خاتم الرُّسُل صلى الله عليه وسلم ، فإن مؤلفها الأُستاذ نجيب محفوظ ، اختلس - بكل خفة - هذه الموافقة ، وذكرها فى عبارة خاطفة لم تخل من الفر بعد الكر كعادته ، فقد روى عن « الجبلاوى » رمز الأُلوهية (الله) عنده ، أنه قال فى الرد على احتجاج الملائكة :

« أدهم على دراية بطباع المستأجرين ، ويعرف أكثرهم بأسمائهم » [1] .

آدم - كما جاء فى الآية الكريمة - كان يعرف الأسماء كلها ، أما فى « أولاد حارتنا » فيعرف « أكثرهم بأسمائهم » لا كلَّهم ؟ وهذا منها تمويه على القارئ ، وفر بعد كر ، حتى لا يجزمَ قارئ « أولاد الحارة » بأن مؤلفها يتحدث عن آدم أبى البَشر ؟

* *

● الدليل السابع - وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا :

ومن الحقائق التى اختلسها المؤلف فى خفة من قصة آدم عليه السلام ، حقيقة أن الله خلق حواء من آدم ، ولم يخلقها من التراب مباشرة كما خلق آدم ، تحقيقاً لحصول المودة والرحمة بين الزوجين ، وتلك سنة الله الجارية فى خلقه إلى يوم القيامة ، كل من الزوجين يميل فِطْرِيًّا إلى الآخر ، ويسكن إليه ، الزوج لأنها جزؤه ، والزوجة لأنه أصلها والشجرة التى تفرعت منها :

﴿ وَمِنْ آيَاته أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2] .

وقد صدَّر الله الحكيم الخبير سورة النساء بهذه الآية المعجزة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [3] .

هذه المعانى والحقائق التى اشتملت عليها الآيتان الحكيمتان ، عمد إليها مؤلف « أولاد حارتنا » فاختلسها بخفة ، وهو يتحدث عن أدهم - آدم -

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ١٤ (٢) الروم : ٢١ (٣) النساء : ١

وزوجه أُميمة - حواء - وإليك كلام المؤلف يصف مشاعر أدهم بعد أن رأى أُميمة - حواء - لأول مرة :

« وتراجعت حتى توارت وراء المنعطف - أى تراجعت أُميمة - ثم ترامى إلى أُذنيه وقع أقدامها المسرعة ، وإذا به يغمم متأثراً :

ما أملَحكِ . . . وقال لنفسه : أُميمة مليحة ، حتى شفتاها الغليظتان مليحتان . . . وما أجمل منظر ظلها وهو مفروش فى ظلى كأنه جزء من جسدى المضطرب بالرغبات » (١) .

وقال مرة أُخرى يصف حال أدهم - آدم - بعد زواجه من أُميمة - حواء - :

« والحق أنه يشعر بأنها جزء لا يتجزأ منه » (٢) .

عزيزى القارئ الكريم : قارن بين ما جاء فى الآيتين الحكيمتين وبين المعنى الذى اختلسه كاتب الرواية ، ثم أجب عن هذين السؤالين :

مَنْ يكون أدهم هذا إن لم يكن آدم عليه السلام ؟

ومن تكون أُميمة هذه إن لم تكن حواء ؟

* *

● الدليل الثامن - وسوسة الشيطان :

هذا هو الدليل التاسع على أن أدهم فى رواية أولاد الحارة هو آدم عليه السلام ، إدريس أو إبليس ، - وهو الصحيح - حنق على آدم حنقاً شديداً ، ولكنه لم يلجأ إلى الشتائم والسباب والبذاءة فى الألفاظ ليشفى غيظه ، بل اتخذ من تزيين الباطل لآدم وبنيه من بعده ، وإغرائهم على المعاصى والشرور ، وسائل أثيرة لديه للكيد فى آدم وذُرِّيته .

أما رواية أولاد الحارة ، فقد أنطقت إدريس - رمز الشيطان - بأقذع

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٢٠ (٢) « أولاد حارتنا » ص ٣١

الشتائم ، وأفحش السباب ، لا لآدم وحده ، ولكن له ، وللجبلاوى رمز الأُلوهية (الله) فى رواية « أولاد الحارة » .

وإلى القارئ الكريم بعض ما ورطت فيه رواية أولاد الحارة نفسها من سباب إدريس للجبلاوى ، وأدهم ، وأنت تعلم عزيزى القارئ من هو الجبلاوى ، ومن هو أدهم فى قاموس أولاد الحارة :

إدريس لأدهم :

« اخرس يا كلب يا ابن الكلب ؟! لا أنت أخى ولا أبوك أبى ؟ ولأدكنَّ هذا البيت فوق رءوسكم » ؟؟ (١) .

« قل لأبيك : إنى أعيش فى الخلاء الذى جاء منه ، وإننى قَطَّاع طريق كما كان . . . يا من تظنون أنفسكم سادة وأنتم لصوص » (٢) .

« طردنى أبوك دون حياء فليتحمل العواقب » ؟! (٢) .

« طغيان أبيك أنطقنى بالحق » ؟! (٣) .

هذا غيض من فيض من البذاءات التى ورطت « أولاد حارتنا » فيها نفسها ، وهى تعلم من هو الجبلاوى ؟ ومن هو أدهم اللذان أنطقت إدريس - الشيطان - بهذه الشتائم لهما ؟!

أنطقته ، وهى تعلم أنه - أى الشيطان - لم يصدر منه حرف واحد من هذه البذاءات التى يهتز لها عرش الرحمن ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً .

❊ ❊

انقلاب طارئ على إدريس :

بعد الفقرات الطويلة التى وردت فى « أولاد حارتنا » تصور تطاول إدريس - إبليس - على الجبلاوى وأدهم ، تفاجئنا رواية « أولاد حارتنا » بانقلاب

---

(١) « أولاد حارتنا » ص ٢٢ (٢) « أولاد حارتنا » ص ٢٣

(٣) « أولاد حارتنا » ص ٢٣

خطير طرأ على إدريس ، حيث جاء يتودد إلى أدهم ، ويرق له فى المعاملة ، ويُلين معه فى الكلام فى تذلل وخضوع ولطافة لم يُعْرف لها مثيل عنده منذ طرد من البيت الكبير .

وفى لين ورفق زيَّن إدريس لأدهم أن يغافل الجبلاوى ويسطو على كتاب « الحجة » أى سجل القضاء والقدر ، الذى يحتفظ به الجبلاوى بحرصٍ شديد ، ولم يُطْلع عليه أحداً من أبنائه ولا من خدمه ، لأن إدريس أحبَّ أن يطلع على مصيره فى الكتاب ، هكذا زعمت رواية « أولاد حارتنا » ؟!

وبعد تردد طويل ، وخوف قاتل حاول أدهم - آدم - أن يغافل أباه الجبلاوى - ليلاً - ويسطو على كتاب « الحجة » ، وقد شجعته أُميمة زوجه - حواء - على إتمام الجريمة ، ولكن الجبلاوى ضبطه متلبساً بجريمته ، وأجرى معه تحقيقاً عرف من خلاله القصة كاملة (١) .

❊ ❊

● **تعقيب** :

هذه القصة الخرافية وضعها مؤلف أولاد الحارة ، رامزاً بها - كعادته - إلى واقعة الوسوسة التى وسوسها الشيطان لآدم :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُورِىَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٢) .

كثير من العلماء يقولون : إن الشجرة المنهى عنها هى شجرة المعرفة ، وقد يكون فى اختيار مؤلف الرواية لـ « كتاب الحجة » رمز للمعرفة كذلك ، لتحصل المناسبة بين المرموز إليه والرمز .

---

(١) انتهت القصة ملخصة من أولاد الحارة ص ٣٥ - ٤٩

(٢) الأعراف : ٢٠ - ٢١

● الدليل التاسع - خطيئة آدم :

الملخص الذى قدمناه عن « أولاد حارتنا » الذى رمزت به الرواية إلى وسوسة الشيطان لآدم ، واعتبرناه دليلاً على أن أدهم فى الرواية هو آدم . هذا الملخص اشتمل على دليل آخر من الأدلة التى نسوقها - هنا - وهو وقوع الخطيئة من آدم اغتراراً بوسوسة الشيطان :

الخطيئة فى القرآن الكريم كانت بأكل آدم وحواء من الشجرة التى نهاهما عنها ربهما . قال رب العزة فيها :

﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ، وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ، وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١) .

أما الخطيئة فى « أولاد حارتنا » فهى محاولة السطو على كتاب الحجة كما تقدم .

وهى ، وإن كانت خطيئة خيالية مزورة ، فإن ذلك لا يسلب استدلالنا بها على أن أدهم فى الرواية هو آدم عليه السلام .

ونحن قد عرفنا من خلال فحصنا السابق لرواية أولاد الحارة أن طابعها العام رمزى فى كل صغيرة وكبيرة قصداً للتمويه ، وإخفاء الهدف من وضع الرواية ، فكثر فيها الرمز - بل والهمز والغمز - ولكن الأمر كما قال زهير ابن أبى سلمى :

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعْلِم

* *

(١) الأعراف : ٢٢

• الدليل العاشر - إخراج آدم من الجنة :

وتتبع رواية « أولاد حارتنا » وقائع قصة آدم عليه السلام فيما يشبه الوحدة العضوية فى الأدب الحديث ، أو فى شكل موجات منتظمة السابق منها يدفع اللاحق .

فكما ذكر القرآن أن إخراج آدم وزوجه من الجنة كان بسبب مخالفة الأمر الإلَهى وطاعة الشيطان ، كان الطرد من البيت الكبير فى الرواية بسبب محاولة أدهم - آدم - السطو على كتاب « الحجة » أو كتاب القضاء والقدر والأسرار الإلَهية ، هكذا نهجت الرواية .

والقرآن الأمين حكى واقعة إخراج آدم وحواء من الجنة ، وهبوطهما إلى الأرض مرات ، نذكر منها واحدة ، هى قوله تعالى :

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، وَلَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (١) .

أما الرواية فقد صورت الإخراج عقب ضبط الجبلاوى أدهم وهو يحاول السطو على كتاب « الحجة » بقولها منسوباً إلى الجبلاوى يخاطب أدهم وأُميمة - آدم وحواء - :

« اخرجا من البيت .

وهتف أدهم :

أبى !

فقال الرجل - يعنى الجبلاوى - بصوت غليظ ؟!

غادرا البيت قبل أن تُلْقَيا خارجاً » (٢) .

---

(١) الأعراف : ٢٤ (٢) « أولاد حارتنا » ص ٤٩

وهكذا تتضح صورة آدم طوراً بعد طور فى الرواية ، وتتوارى وهمية أدهم حتى لا تكاد تُرى .

* *

● الدليل الحادى عشر- توبة الله على آدم :

آدم أخطأ ؟ نعم ، ولكن خطيئته كانت فى نسيان ، عهد ربه إليه بألا يأكل من الشجرة التى عينها له ، ولم تكن خطيئته متعمدة ، فقد قال الله فى شأنها :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ ، وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (١) .

أى قصداً للمعصية .

ثم تاب الله عليه لما استرجع وندم واستغفر فتاب ، فتاب الله عليه واجتباه وهداه :

﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ (٢) .

وأدهم الذى فى رواية : « أولاد حارتنا » أسندت إليه الرواية خطأ ومعصية للجبلاوى ، حين أراد السطو على كتاب الحجة ، كما تقدم ، ثم طرده الجبلاوى من البيت الكبير - الجنة - وقد ورد فى الرواية « أولاد حارتنا » لغو كثير ، وثرثرة فارغة عن حال آدم أو أدهم وزوجه حواء أو أُميمة بعد إخراجهما من البيت الكبير أو الجنة ، وعن تحرش أخيه إدريس أو إبليس به ، وشماتته الظاهرة فى أدهم وزوجه على أن طُرِدَا من بيت الجبلاوى كما طرد هو من قبل بسبب أدهم (٣) .

وقد أعرضنا عن ذكر هذا اللغو ، وتلك الثرثرة الفارغة لأنها من خيال المؤلف ، ولا أساس لها فى الواقع .

---

(١) طه : ١١٥ (٢) طه : ١٢٢

(٣) أولاد الحارة من ص ٤٩ - ٧٢

بَيْدَ أننا نضع أمام القارئ فقرة واحدة من كلام رواية أولاد الحارة الذى نسبته إلى إدريس - إبليس - يخاطب فيه « الجبلاوى » شامتاً فيه وفى أدهم :

« طردتنى إكراماً لأحقر من أنجبت - يعنى إكراماً لأدهم - أرأيت كيف كان سلوكه نحوك - يعنى نحو الجبلاوى - ها أنت ترميه بنفسك إلى التراب ، عقاب بعقاب ، والبادى أظلم ؟! كى تعلم أن إدريس لا يُقْهر ؟ فلتبق وحدك مع أبنائك العقماء الجبناء ؟ لن يكون لك حفيد إلا من يسعى فى التراب ويتقلب فى القاذورات . غداً يسرحون بالبطاطة واللب غداً يتعرضون لصفعات الفتوات ؟ غداً يمتزج دمك بأحقر الدماء ، وتقبع أنت وحيداً فى حجرتك ، تُبدِّل وتُغَيِّر فى كتابك كيف شاء لك الغضب والفشل ، وتعانى وحدة الشيخوخة فى الظلام حتى إذا جاء الأجل فلن تجد عيناً تبكيك » ؟! (١) .

هذا الكفر الصُّراح تزعم رواية « أولاد حارتنا » أن إدريس - إبليس - خاطب به « الجبلاوى » ، والجبلاوى - كما علمنا - هو فى رواية أولاد الحارة رمز الأُلوهية (الله) ما فى ذلك أدنى ريب ، ومع هذا تفترى الرواية على إبليس هذا الكلام البالغ فى الشناعة عنان السماء . أعِدْ قراءة الفقرة مرة أُخرى تجد أن الجبلاوى رمز الأُلوهية (الله) موصوف بهذه الأوصاف :

- ظالم ، بل أظلم ، لأنه بدأ بالظلم حيث طرد إدريس من البيت الكبير ؟!
- له دمٌ سيمتزج بأحقر الدماء ؟!
- يُبدِّل ويُغيِّر فى كتاب « القضاء والقدر حسب غضبه وفشله ؟!
- ستصيبه أمراض الشيخوخة ويعانى آلامها وحده فى الظلام ؟!
- له أجل سيحين فيه موته ، وهو حبيس حجرته ولا أحد معه ؟!

---

(١) أولاد حارتنا ص ٥١

obeikandi.com

● يوم يموت لن يجد من يحزن عليه ؟! (١)

إن إبليس - علم الله - بريءٌ من هذا « الكفر » وله كُفْرٌ من نوع آخر لم يكن فيه بذئ السان ؟!

يا تُرى : هل بين رواية أولاد الحارة وبين الجبلاوى رمز الأُلوهية فيها (الله) ثأر ؟! أم ماذا ؟!

❊ ❊

● **من هم العقماء ؟**

وردت فى هذه الفقرة عبارة : « مع أبنائك العقماء الجبناء » فمن هم العقماء يا تُرى ؟

والجواب : هذا رمز رمزت به رواية أولاد الحارة إلى الملائكة مُمثَّلين فى : رضوان ، وجليل ، وعباس ، الذين عَدَّتهم رواية أولاد الحارة من أبناء الجبلاوى كما تقدم ، ومعروف أن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تتناكح ولا تتوالد ، لذلك وصفتهم الرواية بأنهم عقماء ؟ أما وصفهم بالجبن فلأنهم لم يثوروا على أبيهم « الجبلاوى » حين فضَّل أدهم على إدريس ، وحين طرد إدريس من البيت الكبير ؟!

هذا نموذج واحد من عشرات النماذج الخيالية التى ثرثرت بها الرواية فى وصف حياة أدهم بعد الطرد من البيت الكبير ، أو آدم - وهو الصحيح - بعد الإخراج من الجنة . والنماذج التى لم نذكرها لا تقل عما ذكرناه فى الإساءة والحماقة . والله لطيف بعباده ، لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجَّل لهم العذاب ، ولكن يؤخرهم ليوم لا ريب فيه .

وبعد هذا كله عرضت الرواية لحصول أدهم - آدم - على التوبة فقالت :

---

(١) هذا الأجل المحتوم نفذته الرواية - فيما بعد - حيث قتل عرفة الجبلاوى ؟!

obeikandl.com

قال الجبلاوى لأدهم وقد رآه يبكى :

« أنت تبكى وأنت الذى أخطأت ؟

قال أدهم : « الخطأ كثير ، والعقاب كثير ، حتى الحشرات المؤذية لا تيأس من العثور على ظل .

الجبلاوى : هكذا تعلمنى الحكمة ؟

أدهم : عفواً ، عفواً ، الحزن أرهقنى ، والمرض ركبنى ، حتى أغنامى مهددة بالهلاك !

الجبلاوى : جميل أن تخاف على أغنامك ؟

أدهم : يتساءل فى رجاء :

هل عفوت عنى ؟

الجبلاوى : أجاب بعد صمت :

نعم (١) .

وهكذا نقترب - أو قد اقتربنا بالفعل من العثور على آدم عليه السلام بعد أن دثرته رواية « أولاد حارتنا » فى عباءة « أدهم » قصداً للتمويه الذى سيطر على « جو » الرواية كلها ، ولم تبق إلا قشرة رقيقة من قتام ، ستنقشع بإيراد الدليل الثالث عشر ، ثم ينبلج الصبح لذى عينين .

* *

● **الدليل الثانى عشر - قَتْلُ وَلَدَى آدم أحدهما الآخر :**

من البدائة التى يعرفها كل الناس : النزاع الذى وقع بين وَلَدَى آدم هابيل وقابيل ، وانتهى الأمر بقتل قابيل لأخيه هابيل . والقصة قد وردت فى القرآن الأمين فى قوله تعالى :

---

(١) أولاد حارتنا ص ١١١

obeikandi.com

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ * قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ ، قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ * إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ، فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

وقد سوَّد مؤلف رواية « أولاد حارتنا » صفحات عديدة فى قصة ولدى آدم وحشاها بالصور والمواقف الخيالية مرسلاً لخياله العنان فى أن يقول ما شاء ؟!

فعرض لحياتى هابيل وقابيل ، رامزاً للأول بـ « همام » وللثانى بـ « قدرى » آخذاً الحرف الأول من اسْمَى كل منهما . وأخذ النزاع يدب بينهما وبخاصة لَمَّا نشأت علاقة غرامية آثمة بين قدرى - قابيل - وبين ابنة عمه إدريس - إبليس - وأطلق عليها مؤلف الرواية اسم « هند » ، وتطورت هذه العلاقة الآثمة إلى أن ارتكب قابيل - وكان شريراً مثل عمه إدريس - ارتكب مع هند جريمة الزنا ، عند صخرة أطلق عليها المؤلف « صخرة هند » (٢) ، فمقت همام أخاه قدرى لجنونه وفسقه ، فصارا دائمى الخلاف والشجار إلى أن حدث أمر خطير أضرم النار فى قلب قابيل على أخيه هابيل (٣) ، فما هو ذلك الأمر يا ترى ؟

❊ ❊

---

(١) المائدة : ٢٧ - ٣٠

(٢) أرجو من القارئ أن يحتفظ باسم هذه الصخرة والجريمة التى وقعت عندهما ، لأننا سنعود لها مرات أُخرى فى مناسبات شديدة الخطورة .

(٣) أولاد الحارة ص ٨١ وما بعدها .

● تكريم الجبلاوى لهمام :

زعمت رواية « أولاد حارتنا » أن الجبلاوى أرسل إلى همام يدعوه لزيارته ، فجُنَّ جنون قدرى ، وضاق ذرعاً بهمام ، وامتلأ حقداً عليه ، وحين تمت الزيارة أخبر همام أباه أدهم وأُمه أُميمة بأن الجبلاوى دعاه ليقيم معه فى البيت الكبير ، فرحَّب الوالدان وغضب قدرى غضباً شديداً ، وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، فانتهز فرصة انفراده بأخيه وهما يرعيان الغنم فقتله ودفنه ، وادعى أمام أبيه وأُمه أن « همام » ترك الغنم وذهب ولم يعد ، فظن قدرى أنه عاد إلى كوخ العائلة . . . وبعد محاولات من الأب اعترف قدرى بأنه لم يقصد قتله ، وإنما قتله على سبيل الخطأ غير المتعمد . فحزن الأب والأُم لما حدث حزناً عميقاً ، وزاد الأمر فداحة شماتة إدريس .

وتقول الرواية : إن « هند » بنت إدريس هربت إلى مكان مجهول عقب اكتشاف جريمتها مع قدرى ، ثم هرب قدرى بعد اكتشاف جريمته البشعة بقتل أخيه همام (١) .

هذا ملخص شديد الوجازة لما ذكرته رواية أولاد الحارة ، وإذا قارنت سبب القتل فى الآيات القرآنية السالفة الذكر ، بسبب القتل فى رواية أولاد الحارة ، ظهر لك أن الرواية مع إثباتها للقتل ، فإنها ذكرت له سبباً وهمياً بعيداً عن الواقع . سبب القتل فى القرآن الأمين هو الحسد على قبول قربان همام ، ورفض قربانه هو ، وسبب القتل فى الرواية هو الحسد - كذلك - ولكن على دعوة الجبلاوى لهمام ليقيم معه فى البيت الكبير ، وحرمان قدرى من هذا العطف والتكريم ؟!

وبهذا - كله - تتجلى صورة آدم فى الرواية ، ونزول صورة أدهم الوهمية إلى الأبد .

* *

---

(١) أولاد الحارة ص ٨٢ - ١٠٦

● **البلطجى الأكبر** :

ومما ينبغى أن نلفت نظر القراء إليه هنا عبارة افترتها الرواية على قدرى وهو يخاصم أخاه « همام » ، إذ قال همام لقدرى :

« أعلم أننى لا أخافك » .

قدرى : « هل وعدك البلطجى الأكبر بالحماية » ؟! [1] .

هكذا تفترى الرواية الأقوال والأفعال ، وليس لها سند سوى الخيال الشيطانى الآثم .

فالرواية - كما قلنا مراراً من قبل - تعلم من هو « الجبلاوى » فى قاموسها الرمزى ، إنه رمز الأُلوهية (الله) ، ومع ذلك احتمت الرواية برموزها ، وراحت تكيل السباب والشتائم جزافاً للجبلاوى ، وقد ذكرنا نماذج من قبل من هذه « الكفريات » ، وهى هنا تصر على أن تصف الجبلاوى :

بأنه « البلطجى الأكبر » ؟!

ومرة أُخرى نقول : « اللَّهُمَّ ارفع مقتك وغضبك عنَّا »

❊ ❊

● **فقرة الختام** :

فى ختام فصل أدهم وردت الفقرة الآتية نذكرها لأهميتها : « وفى تواريخ متقاربة ، ودَّع الحياة أدهم فأُميمة - يعنى آدم وحواء - ثم إدريس - يعنى إبليس - وكبر الأطفال ، وعاد قدرى بعد غيبة طويلة - ومعه هند - يعنى بنت إبليس - ومعهما أطفال ، نشأوا جنباً إلى جنب ، وخالطوا غيرهم فازدادوا بهم عدداً ، وانتشر العمران بفضل أموال الوقف فارتسمت فى صفحة الوجود حارتنا ، ومن هؤلاء وأُولئك جاء أولاد حارتنا » [2] .

---

(١) أولاد حارتنا ص ٩٥ (٢) أولاد حارتنا ص ١١٢

obeikandl.com

هذه الفقرة لها صلة وثيقة بالفقرة التى اختتم بها مؤلف رواية « أولاد حارتنا » مقدمة الرواية « افتتاحية » ونذكرها - كهذه - لأهميتها :

قال المؤلف هناك :

« حارتنا العجيبة ، ذات الأحداث العجيبة ، كيف وجدت ؟ وماذا كان من أمرها ؟ ومن هم أولاد حارتنا » ؟ (١) .

إن الصلة بين الفقرتين صلة الجواب بالسؤال ، الفقرة الأُولى التى ذكرت فى المقدمة هى السؤال .

والفقرة التى اختتم بها فصل « أدهم » هى الجواب ، ودلالات هاتين الفقرتين هى :

١ - إن رواية « أولاد حارتنا » ليست صورة لحياة حارة فى مصر ، ولا لحياة مصر نفسها ، ولا القارة التى تنتمى إليها - جغرافيا - مصر ، وإنما هى الدنيا كلها شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، طولاً وعرضاً وعمقاً .

٢ - إن الحكايات التى وردت فى الرواية هى عرض مغلَّف لمسيرة التاريخ الدينى النبوى ، من عهد آدم عليه السلام إلى عهد خاتم الرُّسُل صلى الله عليه وسلم .

٣ - إن أولاد الحارة هم البَشر جميعاً ، وليسوا فئة من أبناء مصر تجمعهم حارة تسد مداخلها ومخارجها عربة كارو .

٤ - إن أولاد الدنيا لهم أبوان : أدهم - آدم - ، وإدريس - إبليس - ، ولهم أُمَّان هما : أُميمة - حواء - ، وهند ابنة الشيطان الساقطة ، وبهذا يتبين لنا فى وضوح : أن المدافعين عن براءة رواية « أولاد حارتنا » من المساس بقِيَم الدين وأُصول الإيمان يشهدون زوراً وبهتاناً ، ويستخفون بعقول القُرَّاء للدفاع الباطل عن الرواية وكاتبها ؟!

* * *

(١) أولاد حارتنا ص ٨